قصيدة جعفر

(إلى كل الشهداء . . ولا يكفي)

محمد نور الدين

- ١ -

من يهمز - جعفر - عصفورتك الحجريّة
برذاذٍ من نور وذهبْ
من يشعل شاشة عينيكْ
بمَدَى من قبضات
تَبعَتْكَ يـدي
ويدي يا جعفر من فضّـة
من لحـم الأرض
يـدي

أحملها كي تورق في عين الله مدائحك الاسطوريّة
أحملها كي تلمع في الأفـق الداكن نجمتـك الخضـراءْ

تبعتـك يـدي
فتقدَّمْ ، يا جعفـر ، في جسـدي . .
دمـويٌّ هـذا الهـزجُ
فـلا تحـزن
سوف أغنيكَ نشيـد الحجـرِ
وسأهديك إلى جهـة الزَّهَـر
كي تقـرأكَ الفتيات كتاباً للعطـرْ
وتحملك النسوة منديلاً فـي الأعيـاد
فتَبَسَّـمْ
تبعتـك يـدي
وتقدّم ، كالغيبـة ، فـي جسـدي

- ٢ -

الآن أوضبُ أكياس دمي
ما وَهَبتْ لي أمـي :
للولـدِ المجنـونِ الشمسُ
يفـرُّ بهـا
للولدِ المغرورِ سنونوةٌ من معـدن
طائرةٌ من زبد وسحاب
والولدُ الحافي - قالت أمـي -
قبعةُ الشوك لـه
ثـم مضـتْ
كالرمـانِ
كخيط يلمع في النسيـان :
يا هذا الواقف في باب الأيـامِ
طويـلٌ كالبـالِ
جميـلٌ كيمَـامِ
يا هذا المتغلغلُ في الزينـات
المبتلّ بحبِّ خديجـهْ
وجميـع القدّيسـاتْ
كيف أدانيكَ على غرّة دمـع
وأناوبك الضحكـاتْ
كيف أزيّن هذا الصدر بوردة
وأضيء بزَهْوك قوس فمـي
الآن أوضّب أكياس دمـي
وأقول وداعاً لتحيّات الرّدهـات
وداعاً لأحاديث المقهـى
وكواليس المـدن -
الذهـب -
الأسمنـت
وانْ أصلُّ بقَبْضاتـي
واحدة تتوضأ بالبحـر
وأخرى تمسك بالغيمـهْ
الآن أسدّد في جثّة هذا الوطن -
المعتقـل -
الخيمـهْ
كـلَّ رصاصاتي
فتقـدَّمْ

مليون فم يصرخ : جعفـر
مليون دم يرسم للوليد النبويِّ الشمـسَ
تقـدَّمْ
يا هذا الطائر في كل مكـانْ
قـوس قـزحْ
أو . . خيـط دخـانْ

- ٣ -

يُغمض جعفرُ عينيـهْ
يستسقي دبّابات المحتـلْ
يُطلقُ مِلءَ يديـهْ
ويُغنّي للأجمـلْ
للوطن المزدانِ بسنبلـةٍ
وصهيلٍ وقرنفلْ
للطفل يُهرولْ
خلف فمٍ سُكّـرْ
خلف دمٍ مُقْبـلْ
. . وأُغنيكَ نشيـدي
وأسمّيكَ « يسـارْ »
وأسمّيـك « نزيهـاً »
يضحكُ في « صيدا » كنهارْ
وأسمّيكَ « بلالاً »
يتشظّى نجمـاً
نجمـا
وأسمّيكَ « الشيخَ » ينادي : لا أُسلِّمْ
لا أسالـمْ
بيَدي هـذي سأقـاومْ
وأسمّيكَ الأطفـال
أسمّيـك الفلاحين العمـال
الحجـرَ
الشجـرَ
الصعترَ والـوّزال
أسمّيكَ بـلادي
(كل الأسماءِ لـكِ
وملايين الشهداء تخرج من نطفتنا
فأطيعي يا كلّ الأسمـاء
وهـزّي
ما بين رحاكِ ويميني
كـلّ جنونـي)
لا شيء سواكِ
لا شيء سوى أغنية الزيت المعليّ
في الساحات القرويّة
لا شيء سوى زهرات النارِ
على الشرفات المنسيّة
لا شيء سوى محرابِـكِ
(من نورٍ وجلالْ)
لا أحدٌ إلا الأطفـالْ
يأتـون إليـكِ
خلف مساء من ريش
مثل عصافير نحاسيّة
لا أحدٌ إلا أمّـي
تمسح بيَديها هذا العُمْر المرّ
وتُلوّح للأخضرِ : مُرّ
فافتح يا جعفـرْ
هذا الصدرَ بحُبِّـكْ
أخْرجْ قَلْبَـكْ
شمسـاً ـ شـارةْ
لِدَم يُدْمِـنُ نـارَهْ
وتقدّم يا كلَّ الأسماء جنوبا
الآن حصانكَ لا يعرف إلّاهُ دروبـا
يأتـي من طيـن
يذهب فـي مـاءْ
يمسك في قبضته مجدَ الفقـراءْ
فتقدّمْ ، يـا جعفـر
تَبعَتْكَ يـدي
فتَقـدَّمْ
كي أصنع منكَ غـدي

بيروت ـ أيلول ١٩٨٤

الهامش :

الشيخ : الشهيد راغب حرب .
يسار : الشهيدة يسار مروة .
نزيه : الشهيد نزيه قبرصلي .
بلال : الشهيد بلال فحص .